# إثبات

# الألف وحذفها وأثره في التفسير

## دراسة في سورتي الفاتحة والبقرة

إعداد

الدكتور حسن عبد الجليل عبد الرحيم علي العبادلة [1]

المقدمة

الحمد لله الذي أنارت معرفتُه قلوبَ العارفين، ومحقت أنوارُ هدايته ظلامَ الجاهلين، وأشرق علمُه في صدور العلماءِ العاملين بصيرةً يهدون بها إلى الصراط المستقيم، فقال سبحانه وتعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [2]، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، سيدنا

---

[1] – قسم القراءات القرآنية بجامعة البلقاء التطبيقية بالمملكة الأردنية الهاشمية.

[2] – سورة يوسف آية ١٠٨.

وحبيبنا محمد هادي الأمم، وكاشف الغمم، مبلّغ الرسالة، ومؤدي الأمانة على وجهها الأتم، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فإن أهمية العلوم إنما تكون بمُتَضمَّنِها، وأهمها على الإطلاق ما يتعلق بكتاب الله عز وجل، وعلم القراءات القرآنية من أوشج العلوم صلة بالقرآن الكريم، لأنها تتضمن أوجه أدائه -قراءته- التي يفهم ويعلم بها القرآن الكريم، إضافة لما تحويه من إثراء للمعاني القرآنية الكريمة. وهذا أمر لم يغفله العلماء المتقدمون رحمهم الله تعالى، وحاولوا الإفادة منه في بعض الميادين؛ فعلماء التفسير استشهدوا بالقراءات القرآنيةفي تفسيرهم للآيات القرآنية، وعلماء الفقه استشهدوا ببعض أوجه القراءة القرآنية دليلا لما تبنوه من أحكام فقهية ... إلا أنهم لم يفردوا أثر القراءات القرآنية في التفسير ببحث مستقل، وهذا لا يعد تقصيرا منهم، بل كل واحد من العلماء يدلي بدلوه ويهب لأهل العلم ثمرة جهده في مجاله واختصاصه.وها أدلي بدلوي وأحاول أن أضع لبنة متواضعة في هذا الصرح العلمي، بهذا الموضوع الذي أتحدث فيه عن أثر القراءات القرآنية المتواترة في التفسير، حيث بدأت بسورتي الفاتحة والبقرة، فقمت باستخراج الآيات الكريمة التي تتنوع أوجه قراءتها، وجمعت المادّة العلمية اللازمة لإتمام البحث، لكنني وجدتها طويلة، فقمت بتقسيم القراءات القرآنية الكريمة الواردة في هاتين السورتين إلى ثلاثة أقسام ؛ الأول يكمن تنوع القراءات فيه بتنوع الحركات، نحو قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَات﴾

و﴿فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٌ﴾[1]، والثاني بإبدال الحروف، نحو قوله تعالى ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً ﴾و﴿ ننشرُهَا ﴾[2]، والثالث بإثبات الألف وحذفها. وقد أفردت كل قسم منها ببحث مستقل، وما سأبحثه الآن-بإذن الله تعالى – أحد هذه الثلاثة، حيث تنوع القراءات يكون بإثبات الألف وحذفها.

أما منهجي في هذا البحث؛ فإنني قمت بجمع الآيات القرآنية الكريمة التي تتنوع أوجه قراءتها بإثبات الألف وحذفها، ثم رتبتها وفق ورودها في المصحف الشريف، وأشرت إلى القراءات القرآنية الواردة فيها، ثم أظهرت بعض أقوال أهل التفسير فيها، واجتهدت رأيي في إظهار أثر الجمع بين القراءات في التفسير، وما تؤديه من معاني إضافية.فإن أصبت فذلك الفضل من الله، وإن أخطأت فمن نفسي وتقصيري.

## المبحث الأول: قوله سبحانه وتعالى﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[3].

### المسألة الأولى: القراءات الواردة في هذه الآية الكريمة:

تنوعت أوجه الأداء في قوله تعالى﴿مالك﴾ على وجهين بَيْنَهما أهل الاختصاص على النحو الآتي:

---

[1]- سورة البقرة آية ٣٧.
[2]- سورة البقرة آية ٢٥٩.
[3]- سورة الفاتحة آية ٤.

قال ابن مجاهد [1] –رحمه الله –: "اختلفوا في قوله ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ في إثبات الألف وإسقاطها؛ فقرأ عاصم[2] والكسائي[3] ﴿مالك يوم

---

[1]- ابن مجاهد؛ الإمام المقرئ المحدث النحوي شيخ المقرئين أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي مصنف كتاب السبعة ولد سنة ٢٤٥ أخذ الحروف عرضا عن طائفة وانتهى إليه علم هذا الشأن وتصدر مدة، وقرأ عليه خلق وكان ابن مجاهد صاحب لطف وظرف يجيد معرفة الموسيقى وكان في حلقته من الذين يأخذون على الناس أربعة وثمانون مقرئا توفي في شعبان سنة ٣٢٤، محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٤١٣هـ الطبعة التاسعة ٢٧٢/١٥- ٢٧٣.

[2]- عاصم المقرئ أبو بكر عاصم بن أبي النجود مولى بني جذيمة بن مالك بن نصر كان أحد القراء السبعة والمشار إليه في القراءات توفي بالكوفة سنة ١٢٧رحمه الله تعالى. محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت٣٥٤)، مشاهير علماء الأمصار،تحقيق:م. فلايشهمر، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٥٩م،١٦٥/١.وينظر أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: د.إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٨م ، ٩/٣.

[3]- علي بن حمزة بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي المعروف بالإمام المعلم المقرئ أخذ القراءة عن حمزة الزيات وقرأ النحو على معاذ ثم على الخليل ثم خرج إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة وكتب عن العرب كثيرا توفي بطوس سنة ١٨٩.محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (٧٢٩-٨١٧هـ)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، الكويت، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٧هـ، الطبعة الأولى١٥٢/١-١٥٣.

الدين﴾ بألف وقرأ الباقون ﴿ملك﴾ بغير ألف... وحجة من قرأ مالك قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾[1] ولم يقل ملك الملك. ومالك أمدح من ملك لأنه يجمع الاسم والفعل، وروى بسنده عن أبي عمرو[2] قوله: مَلِك تَجْمَع مَالِكا ومَالِك لا يَجْمَع ملكا، وحجة من قرأ ملك قوله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾[3] وقوله تعالى ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾[4]، [5].

---

[1]- سورة آل عمران آية ٢٦.

[2]- أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي ثم المازني البصري شيخ القراء والعربية وأمه من بني حنيفة مولده في نحو سنة سبعين وانتصب للإقراء في أيام الحسن البصري. قال أبو عبيدة :كان أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب وفاته كانت في سنة أربع وخمسين ومائة. قال الأصمعي: عاش أبو عمرو ستا وثمانين سنة وقال خليفة بن خياط وقيل سنة سبع وخمسين ومائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦/٤٠٧-٤١٠.

[3]- سورة الناس آية ٢.

[4]- سورة الحشر آية ٢٣.

[5]- أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي ابن مجاهد (٢٤٥-٣٢٤هـ)، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: د.شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ١٤٠٠هـ (ط٢)، ص ١٠٤. وينظر الحسين بن أحمد أبو عبد الله ابن خالويه (٣١٤-٣٧٠هـ)، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: د.عبد العال سالم مكرم، بيروت، دار الشروق،١٤٠١ هـ(ط٤)، ص٦٢، وأبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، حجة القراءات ، تحقيق: سعيد الأفغاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م الطبعة الثالثة، ص ٧٧-٧٩، وأبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، الأحرف السبعة للقرآن، تحقيق: د.عبد المهيمن طحان، مكة المكرمة، مكتبة المنارة، ١٤٠٨هـ الطبعة الأولى،

## المسألة الثانية: من أقوال المفسرين في هذه الآية

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنى هذه الآية الكريمة على بيان معنى كل وجه من أوجه القراءة الواردة فيها، وبيان أي القراءتين أمدح في حق الله سبحانه وتعالى، ويظهر ذلك جليا في أقوالهم.

فهاهو ابن جرير الطبري[1] -رحمه الله- يقول: "تأويل قراءة من قرأ ذلك ﴿مالك يوم الدين﴾ أن لله الملك يوم الدين خالصا دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكا جبابرة ينازعونه الملك ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية، فأيقنوا

---

ص٤٨، ولداني.أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت٤٤٤هـ)، التيسير في القراءات السبع، تحقيق : أوتو تريزل، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م الطبعة الثانية، ص١٨، ومحمد بن مكرم الأفريقي المصري ابن منظور (٦٣٠-٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر الطبعة الأولى١٠/٤٩١.

[1] - الحبر البحر الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ والمصنفات الكثيرة ، كان مجتهدا لا يقلد. قال إمام الأئمة ابن خزيمة: ما أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير. وقال أبو حامد الأسفرائني الفقيه: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرا. ومولده بآمل طبرستان سنة ٢٢٤، وتوفي ليومين بقيا من شوال وكان ذا زهد وقناعه وتوفي ببغداد. كانت الأئمة تحكم بقوله وترجع إلى رأيه لمعرفته وفضله. جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره. عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي ١٠٣٢-١٠٨٩هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار الكتب العلمية،١/٢٦٠.

بـــلقاء الله يوم الدين أنهم الصَّغرة الأذلة وأن له دونهم ودون غيرهم الملك والكبرياء والعزة والبهاء، كما قال جل ذكره وتقدست أسماؤه في تنزيله ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[1] فأخبر تعالى أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصغار، ومن دنياهم فـــي المعاد إلى خسار، وأما تأويل قراءة من قرأ ﴿مالك يوم الدين﴾ فمـــا حُدِّثنا به ... عن عبد الله بن عباس يقول: لا يملك أحد في ذلك اليـــوم معه حكما كملكهم في الدنيا، ثم قال ﴿ لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الـــرَّحْمَنُ وَقَـــالَ صَوَاباً﴾[2] وقال ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾[3] وقال ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[4].

قـــال أبـــو جعفـــر وأولى التأويلين بالآية وأصح القراءتين[5] في التلاوة عندي التأويل الأول وهي قراءة من قرأ ملك بمعنى المُلك ؛ لأن فـــي الإقرار له بالانفراد بالمُلك إيجابا لانفراده بالملك، وفضيلة زيادة

---

[1]- سورة غافر آية ١٦.

[2]- سورة النبأ آية ٣٨.

[3]- سورة طه آية ١٠٨.

[4]- سورة الأنبياء آية ٢٨.

[5]- أنبه هنا إلى أن منهج ابن جرير الطبري رحمه الله في ترجيح بعض وجوه القراءة المتواترة على غيرها غير صحيح لأن كل الأوجه- المتواترة- مأخوذة من النبي ﷺ ثابت عن رب العزَّة سبحانه وتعالى فلا يجوز لنا أن نصف وجها من القراءة أنه أصوب من الآخر، بل كل هذه الأوجه في نفس الدرجة من الرفعة.

الملك على المالك إذ كان معلوما أن لا ملك إلا وهو مالك وقد يكون المالك لا ملكا"[1].

ولم يخرج الإمام البغوي[2] – رحمه الله – عمّا أورده ابن جرير وإن قدم كلامه في هذا الموضوع بمقدمة تجمع بين وجهي القراءة حيث يقول :

"قال قوم معناهما واحد مثل فرهين وفارهين وحذرين وحاذرين ومعناهما الرب؛ يقال رب الدار ومالكها. وقيل المالك هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر عليه أحد غير الله .

---

[1]– محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر الطبري (٢٢٤–٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١/ ٦٥.

[2]- البغوي؛ الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد الفقيه الشافعي يعرف بابن الفراء ويلقب محيي السنة وركن الدين أيضا (ت٥١٦هـ)، جاوز الثمانين، كان إماما في التفسير إماما في الحديث إماما في الفقه، تفقه على القاضي حسين وسمع الحديث منه ومن أبى عمر عبد الواحد المليحي وأبي الحسن الداودي وطائفة آخرهم أبو المكارم فضل الله بن محمد النوقاني، روى عنه بالإجازة وبقى إلى سنة ستمائة وأجاز للفخر على بن البخاري وله من التصانيف معالم التنزيل في التفسير، وشرح السنة، والمصابيح، والجمع بين الصحيحين والتهذيب في الفقه وقد بورك في تصانيفه ورزق فيها القبول لحسن نيته وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة وكان قانعا ورعا يأكل الخبز وحده ثم عذل في ذلك فصار يأكله بزيت مات في شوال سنة ٥١٦ جاوز الثمانين الذهبي،سير أعلام النبلاء ١٩/٤٣٩-٤٤٢، وينظر عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ)، طبقات المفسرين، تحقيق:علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة،١٣٩٦هـ الطبعة الأولى١/٤٩.

قـــال أبو عبيدة [1] مالك أجمع وأوسع لأنه يقال مالك العبد والطير والدواب ولا يقال ملك هذه الأشياء، ولأنه لا يكون مالك لشيء إلا وهو يمـــلكه وقد يكون مَلك الشيء ولا يملكه. وقال قوم:ملك أولى لأن كل مـــلك مـــالك وليس كل مالك ملكا، ولأنه أوفق لسائر القرآن مثل قوله تعـــالى ﴿فَـــتَعَالَى الـــلَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [2] و﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [3] و ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [4]"[5].

---

[1]- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري اللغوي العلامة الأخباري صاحب التصانيف روى عن هشام ابن عروة وأبي عمرو بن العلاء وكان أحد أوعية العلم قال ابن ناصر الدين حكى عنه البخاري في تفسير القرآن لبعض لغاته وكان حافظا للعلوم إماما في مصنفاته قال الدارقطني :لا بأس به إلا أنه يتهم بشيء من رأي الخوارج. قال الجاحظ لم يكن في الأرض جماعي ولا خارجي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة توفي سنة ٢٠٩ ولما مات لم يحضر جنازته أحد. محمد بن إسحاق أبو الفرج ابن النديم (ت٣٨٥)، الفهرست،بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م١/٧٩، وأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلمية،١٣/٢٥٧، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان،٥/٢٣٥، والذهبي، سير أعلام النبلاء ٩/٤٤٧، والدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ١/٢٤.

[2]- سورة طه آية ١٢٨.

[3]- سورة الحشر آية ٢٣.

[4]- سورة الناس آية ٢.

[5]-الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد البغوي (ت٥١٦هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م(ط٢)،١/٤٠، وينظر أبو جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل النحوي النحاس (ت٣٣٨هـ)، معاني القرآن الكريم، تحقيق:

وحـــاول بعض أهل التفسير الجمع بين القراءتين، نحو ما فعل الشـــوكاني[1] حيث يقول :"اختلف العلماء أيّهما أبلغ ... والحق أن لكل واحـــد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر فالمالك يقدر على مـــا لا يقـــدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعـــتق ونحوهـــا، والمـــلك يقـــدر على ما لا يقدر عليه المالك من التصـــرفات العـــائدة إلى تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية فالمـــالك أقوى من الملك في بعض الأمور والملك أقوى من المالك في بعـــض الأمـــور. والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته والمالك صفة لفعله"[2].

---

محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ(ط١)، ٦١/١-٦٢، وأبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت٣٧٣ هـ)، تفسير السمرقندي، تحقيق: د.محمود مطرجي، بيروت، دار الفكر،٤١/١، وأبو البركات عبد الله بن أحمد ابن محمود النسفي، تفسير النسفي، دون دار نشر، أو تاريخ ٧/١، وأبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٥/١.

[1]- محمد بن علي بن محمد الشوكاني صاحب التصانيف قاضي الجماعة كان مولده يوم الاثنين ٢٨ من ذي قعدة الحرام سنة ١١٧٢، وكانت وفاته في شهر جمادي الآخرة في سنة خمسين بعد المائتين والألف. صديق بن حسن القنوجي (١٢٤٨- ١٣٠٧)، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م ٢٠١/٣- ٢٠٥.

[2]- محمد بن علي الشوكاني ( ١١٧٣-١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت، دار الفكر،٢٢/١، وينظر

## المسألة الثالثة: أثر القراءات في التفسير:

ان تنوع القراءات القرآنية في هذه الآية الكريمة يظهر المعنى الكلي للآية الكريمة بأكمل وأجلى وجه، وقد علم أهل التفسير أن تنوع القراءات يفضي إلى تنوع المعاني ولذلك راحوا يفاضلون بين القراءتين أيُهما أمدح لله سبحانه وتعالى، وهذا أمر لا ينبغي أن يكون – أقصد المفاضلة بين القراءات– لأن هذه الاوجه إنما ثبتت عن النبي ﷺ. وحقيقة الأمر إن المعنى القرآني لا يكتمل إلّا بالجمع بين القراءتين ولبيان ذلك أقول.

معلوم مما تقدم أن المَلك هو الحاكم النافِذ أمرُه والذي له الأمر المطلق دون غيره، وأن المَالِك هو الذي ترجع له مِلكِيَّة الأعيان، ويكون له حق التصرف فيها. وهذا الأمر هو لله سبحانه وتعالى في الدارين على الحقيقة، يقول تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[1]، ويقول سبحانه : ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[2]، فالله سبحانه وتعالى هو الملك الحق في الدارين. وهو سبحانه مالك كل شيء يستخلف في مِلكه من يشاء من عباده يقول سبحانه وتعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ

---

محمود أبو الفضل الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١/٨٣.

[1]– سورة يوسف آية ٦٧.

[2]– سورة طه آية ١١٤.

الْمُـــلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1]، وهذا الأمر على حقيقته في الدارين أيضا.

لكـــن يُرى في الدنيا من يوصف بهذا الوصف المذكور في الآية الكريمة -أقصد- ملك ومالك. وهذه الآية الكريمة – موضوع البحث- إنما تتحدث عن يوم مخصوص وهو يوم القيامة، وهذا اليوم لا يشهد فيه ملك لا على الحقيقة ولا على المجاز إلّا الله سبحانه وتعالى، وكذلك لا يشـــهد فيـــه مـــالك لا على الحقيقة ولا على المجاز إلا الله سبحانه وتعالى ، فملك هذا اليوم هو مالكه. ولأنه يشهد في الحياة الدنيا فرق بيـــن الملك والمالك جاءت هذه الآية الكريمة في ذروة البلاغة مشيرة إلى قصرِ هاتين الصفتين على الله سبحانه وتعالى في ذلك اليوم.

ولو اقتصرت الآية الكريمة على جانب واحد من جوانب القراءة نحو ملك لجاز أن يطرح سؤال فمن مالكه ؟ أو هل هنالك مالك آخر في هذا اليوم ؟ ...

فانظـــر أخي الكريم وفقنا الله وإياك لكل خير كيف أن هذه الآية الكريمة بقراءتيها بَيَّنت أن الله سبحانه وتعالى هو الحاكم المطلق يوم القيامـــة، والمالك المتفرد في ملكيّه هذا اليوم، وحالت دون أن يَجِيشَ في النفس سؤال قد يُزل الإنسانَ عن جادة الطريق.

---

[1] – سورة آل عمران آية ٢٦.

المبحث الثاني: قوله سبحانه وتعالى﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[1].

المسألة الأولى: القراءات الواردة في هذه الآية:

تنوعت أوجه الأداء في قوله تعالى﴿يخدعون﴾ من حيث إثبات الألـــف وحذفها، وهذا ما أظهره أهل هذا الفن، يقول ابن خالويه[2]: " قوله تعالى: ﴿ وَمَا يخدَعُون ﴾ يقرأ بضم الياء واثبات الألف، وبفتح اليـــاء وطرح الألف. فالحجة لمن أثبتها أنه عطف لفظ الثاني على لفظ الأول ليشاكل بين اللفظين، والحجة لمن طرحها أن (فَاعَلَ) لا يأتي في الكـــلام إلا من فاعلين يتساويان في الفعل كقولك قاتلت فلانا وضاربته

---

[1]- سورة البقرة آية ٩.

[2]- ابن خالويه: الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله النحوي اللغوي صاحب المصنفات أصله من همذان ثم دخل بغداد فأدرك بها مشايخ هذا الشأن كابن دريد وابن مجاهد وأبي عمر الزاهد واشتغل على أبي سعيد السيرافي ثم صار إلى حلب فعظمت مكانته عند آل حمدان وكان سيف الدولة يكرمه وهو أحد جلسائه وله مع المتنبي مناظرات وقد سرد له ابن خلكان مصنفات كثيرة منها كتاب ليس في كلام العرب وكان به داء كانت به وفاته عام ٣٧٠هـــ إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء ابن كثير (٧٧٤هـــ)، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الفكر،١٤٠١هـــ، ١١/ ٢٩٧.

والمعنى بينهما قريب ألا ترى إلى قوله تعالى قاتلهم الله أي قتلهم فكذلك يخادعون بمعنى يخدعون" [1].

وبَيَّن ابن مجاهد أصحاب كل وجه حيث قال: " قرأ نافع[2] وابن كثير [3]وأبو عمرو ﴿وما يخادعون﴾ بالألف والياء مضمومة، وقرأ عاصم وابن عامر[4]، وحمزة[1]، والكسائي ﴿وما يخدعون﴾ بفتح الياء بغير ألف"[2].

---

[1]- ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٦٨.

[2]- نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم أبو رويم المقريء المدني أصله من أصبهان أحد الأعلام هو مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب أو حليف أخيه العباس وقيل له عدة كنى منها أبو نعيم وأشهرها أبو رويم قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة وقال أبو قرة موسى بن طارق سمعته يقول قرأت على سبعين من التابعين مات سنة ١٦٩رحمه الله تعالى. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ الطبعة الأولى، ص١٠٧-١١١.

[3]- عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز الإمام العلم مقرىء مكة وأحد القراء السبعة أبو معبد الكناني الداري المكي مولى عمرو ابن علقمة الكناني وثقه النسائي وعاش خمسا وسبعين سنة ولد بمكة سنة ٤٨و مات سنة١٢٠. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ٤١/٢، وينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ٣١٨-٣١٩.

[4]- اليحصبي عبد الله بن عامر إمام أهل الشام في القراءة عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة أبو عمران قال ابن عامر قبض رسول الله ﷺ

وأشـــار ابـــن زنجلـــه إلى أوجه القراءة الواردة في هذه الآية الكريمة، واحتج لكل وجه حيث قال: احتج أبو عمرو بأن قال إن الرجل يخادع نفسه ولا يخدعها.

قال الأصمعي: [3] ليس أحد يخدع نفسه إنما يخادعها. وحجة من قـــرأ بغيـــر ألف أن الله أخبر عن هؤلاء المنافقين أنهم يخادعون الله والذين آمنوا بقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر فأثبت لهم مخادعتهم الله والمؤمـــنين ثم يخبر عنهم عقيب ذلك أنهم لا يخادعونه ولا يخادعون إلا أنفســـهم فيكون قد نفى عنهم في آخر الكلام ما أثبته لهم في أوله ولكنه أخبر أن المخادعة من فعلهم ثم إن الخدع إنما يحيق بهم خاصة دونه[4].

---

ولي سنتان ولي قضاء دمشق بعد أبي إدريس الخولاني توفي ابن عامر سنة١١٨. الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص٨٢-٨٦.

[1]- حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الحجة شيخ القراءة أبو عمارة التيمي مولاهم الكوفي الزيات ثقة توفي سنة ١٥٨، وله ثمان وسبعون سنة فيما بلغنا والصحيح وفاته في سنة ١٥٦رحمه الله . الذهبي، سير أعلام النبلاء ٧/٩٠ -٩٢.

[2]- ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص١٤١، وينظر ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٨٧.

[3]- الأصمعي الإمام العلامة الحافظ حجة الأدب لسان العرب أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع البصري اللغوي الأخباري أحد الأعلام ولد سنة بضع وعشرين ومائة مات الأصمعي سنة ٢١٥، وقال محمد ابن المثنى والبخاري سنة ١٦ ويقال عاش ٨٨ سنة رحمه الله . الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٠/١٧٥-١٧٦.

[4]- ابن زنجلة ، حجة القراءات، ص ٨٧.

المسألة الثانية: من أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة

دارت أقـوال أكـثر المفسرين في تأويل هذه الآية الكريمة على بيان معنى يخدعون و يخادعون، وتنزيه الله سبحانه وتعالى أن يتحقق فيـه معنى المخادعة، ومنهم من جوَّز ذلك من حيث اللغة، ومنهم من قـال هـذا مجـاز والمـراد يخدعون عباد الله ورسله[1]، وفسَّر الإمام العكـبري [2] رحمـه الله تعـالى أوجه القراءات الواردة في هذه الآية

---

[1]- ينظر محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله القرطبي (ت٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، القاهرة، دار الشعب، ١٣٧٢هـ الطبعة الثانية١/١٩٥- ٢٠٨، والبيضاوي (ت ٧٩١هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م،١/١٦٢-١٦٤، وإسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء ابن كثير (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ ١/٤٩، وأحمد بن محمد الهائم المصري شهاب الدين (٨١٥-٨٥٣هـ)، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: د.فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث، القاهرة، ١٩٩٢م (ط١)١/٥٦، وابن منظور، لسان العرب،٣/١٧٧و٨/٦٣، ومحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٧٢١هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون ، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ١/ ٧٢.

[2]- العكبري؛ أبو البقاء صاحب الأعراب واللباب عبد الله بن الحسين بن عبد الله الشيخ الضرير النحوي الحنبلي صاحب إعراب القرآن العزيز وكتاب اللباب في النحو وله حواش على المقامات ومفصل الزمخشري وديوان المتنبي وغير ذلك وله في الحساب وغيره وكان صالحا دينا، مات وقد قارب الثمانين رحمه الله وكان إماما في اللغة فقيها مناظرا (٥٣٨-٦١٦ هـ) . ابن كثير، البداية والنهاية ١٣/٨٥.

الكـــريمة حيـــث قـــال: "﴿وما يخادعون﴾أكثر القراءة بالألف وأصل المفاعـــلة أن تكـــون من اثنين وهي على ذلك هنا ؛لأنهم في خداعهم ينزلون أنفسهم منزلة أجنبي يدور الخداع بينهما فهم يخدعون أنفسهم وأنفســـهم تخدعهـــم. وقيل المفاعلة هنا من واحد كقولك سافر الرجل وعاقبت اللص، ويقرأ ﴿يخدعون﴾ بغير ألف مع فتح الياء...وأنفسهم نصـــب بأنـــه مفعول وليس نصبه على الاستثناء لأن الفعل لم يستوف مفعول له قبل إلا "[1].

المسألة الثالثة : أثر القراءات في التفسير:

إن الجمـــع بيـــن أوجه القراءات القرآنية الواردة في هذه الآية الكريمة يكشف النقاب عن حقيقة نفسية المنافقين وسفه عقولهم وذلك مـــن عـــدة أوجه؛ الأول منها أنهم يحاولون خداع الله سبحانه وتعالى المطـــلع عـــلى السرائر الذي لا تخفى عليه خافية ولا يكون ذلك منهم مرة واحدة بل يخادعون مرّة بعد مرّة مستمرين في هذا العمل وحقيقة الأمـــر أنهـــم فـــي كل مرة يحاولون مخادعة الله إنما يخادِعون فيها أنفســـهم وهـــذا مـــا بيَّنته القراءة الأولى ﴿وما يخادعون﴾، والوجه الـــثاني أنهم يديمون مخادعة أنفسهم وفي هذا بيان لسخف عقولهم؛

---

[1]- أبو البقاء محب الدين عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء العكبري (٥٣٨-٦١٦هـــ)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوى، دار إحياء الكتب العربية١/١٧.

فـــالذي يكذب على نفسه مرة بعد مرة إنما هو سفيه لا عقل له يردعه عـــن مثل هذه الفعلة. والوجه الثالث هو تحقيق خداعهم لأنفسهم، أي أن ثمرة المخادعة الطويلة تكون بتحقق انخداع أنفسهم بزيف أقوالهم وهذا ما تظهره القراءة الثانية ﴿وما يخدعون﴾، وتشير هذه القراءة أيضـــا إلى ســـفاهة عقول المنافقين فهم كالذي يكذب كذبة فيصدقها، وهذه سفاهة ما بعدها سفاهة.

**المبحث الثالث: قوله سبحانه وتعالى** ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[1].

**المسألة الأولى: القراءات الواردة في هذه الآية**

تنوعت أوجه الأداء في قوله تعالى ﴿فأزلهما﴾ من حيث إثبات الألف وحذفها على ما بيَّنه أهل الاختصاص.

يقـــول ابن خالويه:" قوله تعالى﴿فأزلهما﴾ يقرأ بإثبات الألف والتخفيف، وبطرحها والتشديد. فالحجة لمن أثبت الألف أن يجعله من الـــزوال والانتقال عن الجنة، والحجة لمن طرحها أن يجعله من الزلل وأصـــله فأزلـــلهما فنقلت فتحة اللام إلى الزاي فسكنت اللام فأدغمت للمماثلة "[2].

---

[1]- سورة البقرة آية ٣٦.

[2]- ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص٧٤، وينظر ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٩٤.

وبيَّـن ابـن مجـاهد أصـحاب كل وجه فقال:"قرأ حمزة وحده فأزالهما بألف خفيفة، وقرأ الباقون ﴿فأزلهما﴾ مشددة بغير ألف"[1].

المسألة الثانية: من أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة:

تكـاد تـتفق مناهج المفسرين في بيان معنى هذه الآية الكريمة وإن تنوعت ألفاظهم بذلك، ولعلمهم أن معنى الآية الكريمة يعتمد على القـراءات الـواردة فيها راحوا يفسرون معنى أزَلَّ وأزَالَ ، ويبيّنون كيفية تحقق هذا الأمر وحقيقته. وفي ذلك يقول الإمام القرطبي -رحمه الله-:"قـرأ الجماعة ﴿فأزلهما﴾ بغير ألف من الزلة وهي الخطيئة أي اسـتزلهما وأوقعهما فيها. وقرأ حمزة ﴿فأزالهما﴾ بألف من التنحية أي نحاهـا يقال أزلته فزال ...من الزوال أي صرفهما عما كانا عليه مـن الطاعـة إلى المعصية . قلت-القول للقرطبي- وعلى هذا تكون القـراءتان بمعـنى إلا أن قراءة الجماعة أمكن في المعنى[2]... وليس للشـيطان قـدرة عـلى زوال أحد من مكان إلى مكان إنما قدرته على إدخاله في الزلل فيكون ذلك سببا إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه . وقـد قيـل إن معـنى أزلهما من زل عن المكان إذا تنحى فيكون في المعـنى كقراءة حمزة من الزوال... فأخرجهما تأكيد وبيان للزوال إذ

---

[1]- ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات،ص ١٥٤

[2]- إن الذي أورده الإمام القرطبي رحمه الله في هذه المسالة غير صحيح فكلا القراءتين بنفس الفصاحة ولا يجوز أن نقدم قراءة على أخرى لأن كلا الوجهين مأخوذ عن النبي ﷺ.

يمكن أن يزولا عن مكان كانا فيه إلى مكان آخر من الجنة وليس كذلك إنما كان إخراجهما من الجنة إلى الأرض"[1].

المسألة الثالثة : أثر القراءات في التفسير:

إن تنوع أوجه الأداء الوارد في هذه الآية الكريمة يثري المعنى القرآني، بحيث يعطي صورة متكاملة لموضوع الآية الكريمة، فالقراءة الأولى ﴿فأزلّهما﴾ تدل على أمرين:

الأول: إن الشيطان -لعنه الله-لم يقصد النصيحة لسيدنا آدم وحواء عليهما السلام، بل كذبَهما وقصد أن يخطئهما، وهذا ديدنه مع بني آدم كلهم يزيّن لهم كل الشهوات ليزلهم فتنزلق أقدامهم عن جادة الطريق.

الثاني: إن الشيطان ليس له على بني آدم من سلطان إلّا أن يعدهم ويمنّيهم، يقول الله سبحانه وتعالى﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ

---

[1]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،١/٣١١-٣١٢، وينظر الطبري، جامع البيان١/٢٣٤- ٢٣٥، مع التنبيه إلى أنه لا يتابع في ترجيحه بين القراءات المتواترة ورد بعضها، وينظر العكبري، التبيان في إعراب القرآن،١/٣١، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل١/٢٩٧-٢٩٨، والنسفي، تفسير النسفي١/٣٨، وعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت٨٧٦هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، بيروت، مؤسسة الأعظمي ١/٥١.

الْأَمْـــرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[1].

وتدل القراءة الثانية ﴿فأزالهما﴾ على أمرين أيضا:

الأول: إن خروج سيدنا آدم وحواء عليهما السلام من الجَنّة كان بسبب فتنة إبليس لهما.

الـــثاني: إن هدف الشيطان المنشود هو إخراج الإنسان وتنحيته عن رحمـــة الله وجنّـــته، على نحو ما فعل مع سيدنا آدم وحواء عـــليهما السلام، وهذا يوجب على الإنسان أن يحذر كل الحذر من فتن الشيطان، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾[2].

المبحث الرابع: قوله سبحانه وتعالى﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[3].

المسألة الأولى: القراءات الواردة في هذه الآية:

تنوعت أوجه الأداء في قوله تعالى ﴿واعدنا﴾ من حيث إثبات الألف وحذفها، وهذا ما بيّنه أهل القراءات؛ يقول ابن زنجلة: "قرأ أبو

---

[1]- سورة إبراهيم آية ٢٢.

[2]- سورة الأعراف آية ٢٧.

[3]- سورة البقرة آية ٥١.

عمـــرو ﴿وإذ وعدنا﴾ موسى بغير ألف ... وحجته أن المواعدة إنما تكـــون بيـــن الآدميين وأما الله جل وعز فإنه المنفرد بالوعد والوعيد ويقوي هذا قوله تعالى :﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ [1]، وقرأ الباقون ﴿وإذ واعدنـــا﴾ بـــالألف، وحجـــتهم أن المواعدة كانت من الله ومن موســـى فكـــانت مـــن الله أنـــه واعد موسى لقاءه على الطور ليكلمه ويكرمه بمناجاته، وواعد موسى ربه المصير إلى الطور لما أمره به، ويجـــوز أن يكـــون المعنى على إسناد الوعد إلى الله، نظير ما تقول: طارقت نعلي وسافرت والفعل من واحد على ما تكلمت به العرب"[2].

المسألة الثانية : من أقوال المفسرين في هذه الآية:

أورد الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة قولا شـــافيا في بيان معاني القراءات الكريمة الواردة فيها حيث قال :" قرأ بعضـــهم ﴿واعدنـــا﴾ بمعنى أن الله تعالى واعد موسى ملاقاة الطور لمناجاته فكانت المواعدة من الله لموسى ومن موسى لربه، وكان من حجتهم على اختيارهم قراءة واعدنا على وعدنا أن قالوا: كل إيعاد كان بين اثنين للالتقاء أو الاجتماع فكل واحد منهما مواعد صاحبه ذلك ... وقرأ بعضهم ﴿وعدنا﴾ بمعنى أن الله الواعد موسى والمنفرد بالوعد دونه، وكان من حجتهم في اختيارهم ذلك أن قالوا إنما تكون المواعدة

---

[1]- سورة إبراهيم آية ٢٢.

[2]- ابن زنجلة، حجة القراءات،ص ٩٦، وينظر ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص١٥٥.

بين البشر فأما الله جل ثناؤه فإنه المنفرد بالوعد والوعيد في كل خير وشـــر، قالوا : وبذلك جاء التنزيل في القرآن كله فقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾[1]، وقال ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾[2].قالوا: فكذلك الواجب أن يكون هو المنفرد بالوعد في قوله﴿وإذ وعدنا موسى﴾.

والصواب عندنا في ذلك من القول أنهما قراءتان قد جاءت بهما الأمة وقرأت بهما القراء وليس في القراءة بإحداهما إبطال معنى الأخرى وإن كان في إحداهما زيادة معنى على الأخرى من جهة الظاهر والتلاوة فأما من جهة المفهوم بهما فهما متفقتان؛ وذلك أن من أخبر عن شخص أنه وعد غيره اللقاء بموضع من المواضع ، فمعلوم أن الموعود ذلك واعد صاحبه من لقائه بذلك المكان مثل الذي وعده من ذلك صاحبه ، إذا كان وعده ما وعده إياه من ذلك عن اتفاق منهما عليه . ومعلوم أن موسى صلوات الله عليه لم يعده ربه الطور إلا عن رضا موسى بذلك ، إذ كان موسى غير مشكوك فيه أنه كان بكل ما أمر الله به راضيا، وإلى محبته فيه مسارعا، ومعقول أن الله تعالى لم يعد موسى ذلك إلا وموسى إليه مستجيب. وإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الله عز ذكره قد كان وعد موسى الطور، ووعده موسى اللقاء، وكان الله عز ذكره لموسى واعدا ومواعدا له المناجاة على الطور، وكان موسى واعدا لربه مواعدا له اللقاء. فبأي القراءتين من وعد

---

[1] – سورة إبراهيم آية ٢٢.

[2] – سورة الأنفال أية ٧.

وواعـــد قرأ القارئ فهو الحق في ذلك من جهة التأويل واللغة مصيب لمـــا وصفنا من العلل قبل، ولا معنى لقول القائل: إنما تكون المواعدة بين البشر، وأن الله بالوعد والوعيد منفرد في كل خير وشر. وذلك أن انفـــراد الله بالوعد والوعيد في الثواب والعقاب والخير والشر والنفع والضر الذي هو بيده وإليه دون سائر خلقه لا يحيل الكلام الجاري بين الناس في استعمالهم إياه عن وجوهه، ولا يغيره عن معانيه"[1].

المسألة الثالثة : أثر القراءات في التفسير

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديـــد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة على وجه من القراءة دون غيره؛ حيث دلّت القراءة الأولى ﴿وعدنا﴾ على أن الله ســـبحانه وتعالى صاحب الأمر المطلق وهو الآمر وحده ، وهو الذي أكرم سيدنا موسى بهذا الوعد. ودلت القراءة الثانية ﴿واعدنا﴾ على أن الله سبحانه وتعالى هو صاحب الوعد، وقد أكرم سيدنا موسى عـــليه السلام بأن أشركه في المواعدة التي هي من جانبه امتثال لأمر

---

[1] - الطبري، جامع البيان ٢٧٩/١، وينظر البغوي، معالم التنزيل ٧٢/١، و عبد الرحمن بن علي ابن محمد ابن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧هـــ)، زاد المسير في علم التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـــ الطبعة الثالثة، ٧٩/١، والعكبري، التبيان في إعراب القرآن، ٣٦/١، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٩٤/١، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٣٢٣/١ ، وابن منظور، لسان العرب ٤٦٢/٣.

الله سبحانه وتعالى، ومن هذا الوجه تكون هذه الآية الكريمة ظاهرة في الثناء على سيدنا موسى عليه السلام بأنه استجاب وامتثل لأمر الله سبحانه وتعالى في كل ما أمره به.

**المبحث الخامس: قوله سبحانه وتعالى** ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [1].

**المسألة الأولى: القراءات الواردة في هذه الآية:**

تنوعت أوجه الأداء في قوله تعالى: ﴿خطيئته﴾ من حيث إثبات الألف وحذفها، وهذا ما أظهره أهل هذا الفن؛ يقول ابن زنجلة رحمه الله : قرأ نافع ﴿وأحاطت به خطيئاته﴾ بالألف. وحجته أن الإحاطة لا تكون للشيء المنفرد إنما تكون لأشياء، كقولك أحاط به الرجال و أحاط الناس بفلان إذا داروا به، ولا يقال أحاط زيد بعمرو. وحجة أخرى:جاء في التفسير قوله ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئاته﴾ أي الكبائر أي أحاطت به كبائر ذنوبه.

وقرأ الباقون ﴿خطيئته﴾على التوحيد. وحجتهم أن الخطيئة ليست بشخص، فإذا لم تكن شخصا واشتملت على الإنسان جاز أن يقال : أحاطت به خطيئته. وحجة أخرى: جاء في التفسير﴿من كسب

---

[1]- سورة البقرة آية ٨١.

سيئة﴾ أي الشرك ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ أي الشرك الذي هو سيئة "[1].

المسألة الثانية: من أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة:

تنوعت أساليب المفسرين في بيان معنى هذه الآية الكريمة، فمنهم من أوجز في تفسيره لها ومنهم من أسهب. ولأظهر المعنى متكاملا دون تكرار سأنظم عددا من أقوالهم في عبارة واحدة وأقول:

قوله سبحانه وتعالى ﴿من كسب سيئة﴾ السيئة الشرك وقيل السيئة الكبيرة[2]، ﴿وأحاطت به﴾ الإحاطة الإحداق بالشيء من جميع نواحيه [3] وقيل المعنى أحاطت بحسناته أي أحبطتها من حيث أن المحيط أكثر من المحاط به، أو يكون معنى أحاطت به أهلكته [4] وقيل

---

[1]- ابن زنجلة، حجة القراءات، ص١٠٢، وينظر ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات،ص١٦٢، وابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص٨٣.

[2]- ينظر البغوي، معالم التنزيل،١/٨٩، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني ١٢٦-٢١١هـ،تفسير القرآن، تحقيق: د.مصطفى مسلم محمد، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ الطبعة الأولى١/٥١، وسفيان بن سعيد ابن مسروق أبو عبد الله الثوري (ت١٦١هـ)، تفسير سفيان الثوري، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ الطبعة الأولى١/٤٧، وأبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧هـ)، نواسخ القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ الطبعة الأولى ص ٤٣.

[3]- ينظر البغوي، معالم التنزيل١/٨٩.

[4]- ابن الجوزي، زاد المسير ١/١٠٨، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم١/ ١٢٠.

الإحاطة به أن يصرّ عليها فيموت غير تائب[1]، وقيل أي استولت عليه وشملت جملة أحواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه، وهذا إنما يصح في شأن الكافر لأن غيره وإن لم يكن له سوى تصديق قلبه وإقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به، وقيل هو من وافى يوم القيامة وليست له حسنة بل جميع أعماله سيئات، وقيل يجوز أن يحمل ذلك على من أتى السيئة مستحلا لها ﴿خطيئته﴾ الخطيئة الكبيرة و بالجمع الكثرة نحو قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾[2]، وقيل هي الكفر، وقيل كل عمل أوجب عليه النار.

المسألة الثالثة : أثر القراءات في التفسير

إن تنوع القراءات الوارد في هذه الآية الكريمة يظهر المعنى القرآني بأكمل وجه ؛ فهذه الآية الكريمة تُبَيِّن العَمَل الذي يُهْلِكُ صَاحِبَه ويدخله النار، وقد ظهر من خلال القراءات القرآنية الواردة فيها أن هذا العمل قد يكون مفردا يبطل ما سواه، كالكفر الذي يفسد باقي الأعمال يقول تعالى ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا

---

[1]- ينظر البغوي، معالم التنزيل١/٨٩، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم١/ ١٢٠.

[2]- سورة النحل آية ١٨.

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [1].وقد يكون متنوعا كارتكاب الفواحش عامة، أو الحرص على الصغائر وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ : "... إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه- وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا -[2] كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجئ بالعود حتى جمعوا سوادا فأججوا نارا وأنضجوا ما قذفوا فيها" [3].

**المبحث السادس : قوله سبحانه وتعالى**﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [4].

**المسألة الأولى : القراءات الواردة في هذه الآية:**

تنوعت أوجه الأداء في قوله تعالى ﴿كتبه﴾ من حيث إثبات الألف وحذفها وهذا ما أظهره أهل هذا الفن؛ يقول ابن زنجلة: "قرأ حمزة والكسائي ﴿وكتابه﴾ وحجتهما أن الكتاب هو القرآن فلا وجه

---

[1]- سورة التوبة آية ١٩.
[2]- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،١/٣٥٢.
[3]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/١٢٠.
[4]- سورة البقرة آية ٢٨٥.

لجمعه، وحجة أخرى، قال ابن عباس: الكتاب أكثر من الكتب. قال أبو عبيدة : أراد كل كتاب لله بدلالة قوله ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾[1] فوحد إرادة الجنس، وهذا كما تقول كثر الدرهم في أيدي الناس تريد الجنس كله.

وقرأ الباقون ﴿وكتبه﴾ وحجتهم ما تقدم وما تأخر ما تقدم ذكر بلفظ الجمع وهو قوله كل آمن بالله وملائكته وما تأخر ورسله فكذلك كتبه على الجمع ليأتلف الكلام على نظام واحد" [2].

المسألة الثانية : من أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة:

تكاد عبارات المفسرين في هذه الآية الكريمة لا تختلف، ولذلك رأيت أن أورد عبارة الإمام الطبري رحمه الله – التي هي جامعة لأقوال جُلِّ المفسرين– وأحيل إلى عدد من أقوالهم [3].

يقول الإمام الطبري :"﴿وكتبه﴾ على وجه جمع الكتاب ، على معنى : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وجميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه ورسوله ...﴿وكتابه﴾ بمعنى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وبالقرآن الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ. وقد روي عن ابن

---

[1]– سورة البقرة آية ٢١٣.

[2]– الجوزي، نواسخ القرآن، ص ٤٣

[3]– البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،١/٣٥٢.

عباس أنه كان يقرأ ذلك ﴿وكتابه﴾ ويقول : الكتاب أكثر من الكتب [1]. وكان ابن عباس يوجه تأويل ذلك إلى نحو قوله ﴿ وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [2] بمعنى جنس الناس، وجنس الكتاب، كما يقال: ما أكثر درهم فلان ودينار. ويراد به جنس الدراهم والدنانير "[3].

المسألة الثالثه: أثر القراءات في التفسير:

إن القراءات القرآنية الكريمة الواردة في هذه الآية الكريمة تظهر عمق المعنى القرآني وسعة دلالته ؛ فالقراءة الأولى ﴿كتبه﴾ تدل على أن أصل الكتب السماوية واحد وهي كلها من عند الله سبحانه وتعالى، فمن يؤمن بالله حقا فلابد أن يؤمن بجميع كتبه ، وقد غضب الله على من أنكر شيئا منها يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [4]، ومن هذه الكتب القرآن الكريم، فلا يسمى مؤمنا من لم يؤمن بالقرآن الكريم الذي هو أحد الكتب الإلهية .

---

[1]- ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ١٢ .

[2]- سورة العصر آية ١ و ٢.

[3]- ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن١٢/٢، والصنعاني، تفسير القرآن، ٥١/١.

[4]- سورة البقرة آية ١١٣.

والقراءة الثانية ﴿كتابه﴾ تدل على أن مضمون هذه الكتب السماوية -في توحيد الله سبحانه وتعالى - كله واحد، ولا تناقض بينها ، لذلك فإننا نجد القرآن الكريم يشير إلى الكتب التي أنزلت على الأنبياء السابقين بـ(أل) التي هي للعهد، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]، ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[2]، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[3]، وهذا الكتاب هو نفسه الذي أنزل على سيدنا محمد ﷺ ، يقول تعالى﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[4]. فمن لم يؤمن بالكتاب الذي أنزل على سيدنا محمد ﷺ لا يجوز أن يوصف بأنه مؤمن. وهذه القراءة فيها زيادة تخصيص بالقرآن الكريم، وكأنه خلاصة الإيمان بالكتب السابقة؛ فمن آمن بالكتب السابقة حقا فسيؤمن بهذا الكتاب الكريم، ومن لم يؤمن بهذا الكتاب فلم يكن قد آمن حقا بالكتب السابقة. وهذا ما أوصت به جميع الرسل أتباعها، وقد أخذ الله

---

[1] - سورة البقرة آية ٥٣.
[2] - سورة مريم آية ٣٠.
[3] - سورة البقرة آية ٢١٣.
[4] - سورة آل عمران آية ٣.

سبحانه وتعالى عليهم الميثاق بذلك، يقول تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [1].

## الخاتمة:

الحمد لله الذي بفضله تتم النعمات، وبنوره تنقشع الظلمات، وبجوده وكرمه يُتجاوز عن الزلّات. أشكره سبحانه على ما يسره لي من إتمام هذا البحث، وإظهاره إلى حيّز الوجود بما هو عليه الآن. وتوصلت في هذا البحث إلى أهم النتائج الآتية:

- للقراءات القرآنية الكريمة عميق الأثر في التفسير؛ فبعض القراءات تؤكد الأخرى، وبعضها يزيدها بيانا، وبعضها يكسبها معاني جديدة.
- إن الفهم الصحيح والشمولي للآية القرآنية الكريمة يجب أن يكون بالجمع بين القراءات الواردة فيها.

وأوصي طلبة العلم أن تتضافر جهودهم، في سبيل خدمة كتاب الله عزَّ وجل، وإظهار أثر القراءات القرآنية في جميع المجالات، العلمية والفقهية والبيانيّة ...

---

[1]- سورة آل عمران آية ٨١.

وختاما أسأل الله العلي القدير ، بفضله وجوده وكرمه، أن يوفق كافة المسلمين إلى كل خير في دينهم ودنياهم .

## خلاصة البحث:

أظهرت في هذا البحث المتواضع اللُّحمة الوشيجة بين القراءات القرآنية الكـــريمة والتفسير، حيث بيَّنت من خلال الدراسة الموضوعية لآيات قرآنية كـــريمة فـــي سورة البقرة كيف أن القراءات القرآنية الكريمة توسع المعنى وتظهره بأكمل وأجلى صورة ، وكأن كل وجه من أوجه القراءة آية مستقلة، إلا أن المعـــنى الكلي للآية الكريمة لا يظهر إلا بالجمع بين القراءتين، وهذا يـــدل عـــلى بلاغـــة القـــرآن الكريم وإيجازه، وهو وجه من أوجه الإعجاز القرآني.